تحية لبنان المجاهد

خليل ثابت بك

زار مصر في الشهر الماضي وفد لبنان وعلى رأسه دولة رياض بك الصلح . أقبل عن أمة أبية ناضلت فظفرت . وقد نشط وادي النيل لوفد الكريم وأعظم ومن الآداب الفاخرة الخالدة التي أدبت تحية له مأدبة المصريين المتحدرين من أصل لبناني ، في الثالث عشر من يناير (كانون الثاني) . وفيها ألقيت خطب وأنشدت قصائد . ويطيب للمقتطف ان تنشر الخطبة الفاتحة . وهي للاستاذ خليل ثابت بك رئيس تحرير القطم ومن أعضاء مجلس الشيوخ بمصر ، لانها تسجل يوماً خطيراً في تاريخ البلدان العربية الجارية الآن الى التآلف والتماسك ، ذلك إلى جنب أنها مشبعة الاداء ، بعيدة الغاية .

في الاثر المأثور يا سادتي ان لكل مقام مقال ، فأي مقال يصلح لهذا المقام وأي مقال يليق به

لقد والله تمنيت ان يكون خطيبكم الليلة ابو تمام الطائي او ابو الطيب المتنبي او السموأل ابن عاديا فيصف هذا او ذاك ببليغ الشعر وجزل اللفظ وحسن الديباجة ما تجيش به الصدور من حمية وحماسة وما تخامر النفوس من غبطة وابتهاج وما يهز اوتار القلوب من أماني وآمال حقق الله آمال الشرق العربي وأمانيه

وقد وجدت مجال القول ذا سعة فان وجدت لساناً قائلا فقل

أما بعد فخير ما يستهل به المقال في هذا المقام ان نرفع باسم كل لبناني ولبنانية وكل سوري وسورية وكل منحدر من اصل لبناني أو اصل سوري أسمى آيات الاخلاص والولاء وأبلغ عبارات الحمد والثناء الى جلالة المجالس على عرش مصر الازلية الفاروق المعظم فقد طوق عنق لبنان بعطفه السامي وفضله المنكي وأسدى الى اللبنانيين في وطنهم ومهاجرهم أيادي ستبقى مذكورة مدى الدهر . وسيكون شعار لبنان في قلوب اللبنانيين بعد اليوم الارزة الخالدة يربطها الاسم الكريم اسم الفاروق المعظم الذي يهتف به الآن في كل مكان

ان ينسى لبنان يا مولاي وكيف ينسى وأنت القائل « واني مع لبنان الى النهاية » هذه العبارة التي نقشت في صفحات الصدور وعلى ألواح الاذهان

يا ملبي القلوب ويا حبيب العروبة ويا نصير لبنان أطال الله عمرك وأيد ملكك ووطد

عرشك وعظم مجدك — دعاء يصدر من صميم الافئدة ويصعد في طبقات السماء الى سدرة المنتهى

وتقدم أصدق فروض الشكر الجزيل ونعرب عن شعور الامتنان الكثير الى حكومة جلالته السنية برئاسة صاحب المقام الرفيع الرئيس اسكليل مصطفى النحاس باشا فقد دافعت عن قضية لبنان اعظم دفاع وأثبتت للملأ ان الاتحاد العربي حقيقة واقعة سيكون لها في مصر والشرق كله شأن أعما شأن

وماذا نقول للامة المصرية البكريمة هذه الامة العزيزة التي نتشرف بالانتساب اليها والتي أصبحنا جزءاً منها والتي نحن مستعدون اذا جد الجد لأن نبذل دمنا وأولادنا وأموالنا في خدمتها والدفاع عن كرامتها وسلامتها

ماذا نقول لها وقد جعلت قضية لبنان قضيتها فهبت كرجل واحد وغضبت غضبة «مصرية» ونادت بصوت واحد تطالب بالعدل والانصاف وتناصر دعاة الاستقلال — هذه الامة التي أحرزت زعامة العالم العربي فبايعتها شعوبه راضية مختارة — هذه الامة التي يحق لها ان تقول :

قومي استولوا على الدهر فتىً ومشوا فوق رؤوس الحقب

ماذا نقول لها رداً على هذا العطف وهذا الحب وهذا الاخاء

حياك الله يا مصر وياك وأنالك أقصى أمانيك وخير أمانينا لك واذا عجز اللسان عن بيان فضلك والتغني بمكارمك فالقلوب تخفق بحبك والدعاء يرتفع بصونك باكنا الله في أرضه

لقد كان ما حدث في لبنان ياسادتي امتحاناً دقيقاً عسيراً للديمقراطية والحرية وميثاق الاتلنتيكي واتحاد الغروبة وروح لبنان وأهله فجاز الجميع الامتحان والحمد لله وانطلقت الأسنة والانباء تزف هذه البشرى الى كل نصير للحرية ومحب الاستقلال

وأنتم ايها السادة الكرام لقد جئتمونا بنفحة من طيب لبنان العزيز ذكّرت غير واحد منا بمعاهد الصبا ومغاني الشباب ولكنكم جئتم بما هو أعظم من هذا شأناً فقد تمثلنا فيكم وفي اخوانكم مظاهر نهضة لبنان هذه النهضة الوطنية الشريفة التي كانت موضوع فخر الشرق واهتمام الغرب والتي أيدت الحقيقة التاريخية الأزلية وهي ان الله خلق الناس احراراً وعززت الحقيقة الاخرى وهي ان كل شعب يقبل الضيم لا يستحق ان يعيش

لقد عرفنا النفسج ينبت في ربى لبنان تحت اطباق الثلج حتى اذا طلعت عليه شمس الربيع ذاب الثلج وأزهر النفسج بنشر طيب شذاه في الآفاق

ذاب الثلج عن لبنان وأشرقت عليه شمس الحرية والاستقلال وفاح في الجو أريج هذه النهضة كما عبق عبير النفسج من قبل الآن

لقد استقلتم وورثت بلدكم واخذ لكم ودُهمت دور كفي جنح الظلام وستتقدم الى اسطبل القرن العشرين ذلك الياسطبل الذي سيرمز به بعد اليوم الى دنس الفوضى وانتصار الحق والعدل على الغي والعدوان

هنيئاً لكم وهنيئا لبنان بكم فلقد خططتم في تاريخ الشرق صفحة منيرة مزدانة بخير ما تزدان به صفحات الامم. نعم الخاص والعام ان في سويداء لبنان رجالا وان في سويداء لبنان نساء. بارك الله في نساء لبنان أمهات الابطال وزوجات واخوات وبنات الشجعان فقد بالغت نساؤكم رجالكم في الذود عن كرامة شعبكم واستقلال لبنانكم

حيا الله اولئك السيدات الكريمات فانهن لم يرهبن المدافع ولا بالين بالخطر. أنعم بهن وأنعم بكم

ولا أحاول هنا ان أفيض في وصف مآثر رياض الصلح واخوانه الوزراء والنواب العاملين معه وسائر اركان النهضة الكريمة فان هذه الاستقبالات الرائعة والهتافات العالية والحفاوة العظيمة التي يلقاها الرئيس وزملاؤه من جميع مصر ملكها وحكومتها وشعبها والموجهة اليهم والى حكومة لبنان وشعبه لابلغ ما يمكن ان يقال في بيان فضله وفضلهم وتقدير جهاده وجهادهم

ستعودون الى وطنكم الأول وقد ازددتم ثقة بالمستقبل بما شهدتم في وادي النيل السعيد من ارتياح الى نجاح قضيتكم وأمل عظيم بمصير شعبكم ودعوات صالحة باطراد نجاحكم وعهود صادقة بشد أزركم

فاحملوا معكم غير هذا وربن خير تحية وتقدير للبناني الاول علامة الشيخ بشارة الخوري فقد أحسن تمثيل روح النهضة اللبنانية وعمل في الازمة الحاضرة ما يطابق أماني اللبنانيين في جميع أقطار الارض

لقد أخذتم انتم رجال الحكم في لبنان على عاتقكم عبئاً عظيماً واضطلعتم بتبعات خطيرة وقد يكون ما هو آت أشق مما مضى واكبر. وفي قديم الزمان قال المجربون « أرسل حكيما ولا توصه » وأنتم الحكماء والحمد لله فلا تحتاجون الى من يوصيكم. غير ان هناك رسالة أرى فرضا علي ان ارسلها. ورسالتنا نحن الذين لم يتح لهم مشاركتكم في جهادكم بالفعل انتم حراس لبنان — هي اننا معكم مستعدون لتأييد كل ما يعزز قواعد استقلال لبنان ويرفع قدره ويعظم شأنه ويصون كرامته

ستلاقي في طريقكم العثرات وتخلق لكم مشكلات وعقبات. وسيبلكم الى نزع الاولى وتذليل الثانية بعد عون الله اتحادكم وعقد خناصركم وتعزيز صرح قوميتكم بالمحافظة على أسس العدل والانصاف ومراعاة الحكم والمساواة بين الجميع قولا وعملا وأن يعمد الجميع الى بناء كيانهم السوري لا على قاعدة الطوائف بل على قاعدة الخلاف الديني والفروق المذهبية بل على القاعدة الكبيرة قاعدة مصلحة الوطن والاشتراك في الغنم والغرم والتقاليد والعادات والاتجاه وحسن صلات المودة والاخاء بين اخوانكم الاعزاء

وفقكم الله الى ما فيه صلاحكم وخيركم ولبنان وسائر اقطار الشرق العربي بعنايته ورعايته ، إن الله أكرم مسؤول

خليل ثابت